الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحفيظ بوصوف – ميلة-
كلية الحقوق

محاضرات الاقتصاد السياسي

السنة الأولى جذع مشترك

2025/2026

المحاضرة الخامسة

المدرسة الطبيعية

الفكر الاقتصادي الطبيعي (الفيزوقراطي):

بعد تطبيق أفكار المدرسة التجارية لعدة قرون، بدأت مع مطلع القرن الثامن عشر في التراجع نتيجة تغير الظروف التي نشأت فيها. فظهرت أفكار جديدة تنتقد تدخل الدولة في الاقتصاد وتدعو إلى الحرية الفردية والمساواة باعتبارهما جزءًا من القانون الطبيعي. كما تراجعت مكانة التجارة والصناعة خاصة في فرنسا، حيث كانت الزراعة تمثل النشاط الاقتصادي الأساسي رغم معانات المزارعين بسبب السياسات الصناعية التي اتبعها جان باتيست كولبير.

المذهب الطبيعي الفيزيقراطي:

ظهرت المدرسة الفيزيوقراطية **في فرنسا** خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، واستمر تأثيرها حوالي خمس وعشرين سنة تقريبا **(1756–1778)**، ثم امتد فكرها إلى إنجلترا وبعض الدول الأخرى. وتعني كلمة **Physiocratie حكم الطبيعة** أو «**نظام الطبيعة**»، وذلك لاعتقاد أنصار هذه المدرسة بوجود قوانين طبيعية تنظم النشاط الاقتصادي. وقد شاع هذا المصطلح بعد صدور كتاب **بيير صامويل ديبون دي نيمور** سنة 1761 بعنوان **La Physiocratie**الذي جمع فيه أفكار زعيم المدرسة فرانسوا كينيه، طبيب الملك لويس الخامس عشر. ومن أهم مؤلفات كينيه: كتاب الجدول الاقتصادي سنة 1758 وكتاب القانون الطبيعي.

ويقصد بالمذهب الفيزوقراطي" **اتجاه فكري ظهر في فرنسا في منتصف القرن الثامن عشر، اهتم رواده أساسا بالبحث عن القوانين الطبيعية التي تحكم الظواهر الاقتصادية، ونادوا بضرورة الاهتمام بالأرض باعتبارها مصدر الثروة الأساسي. كما يعد المذهب الطبيعي أول مدرسة حديثة في الفكر الاقتصادي.**"

<u>عوامل ظهور الفيزوقراطي</u>: نشأت المدرسة الطبيعية في فرنسا وساهم في ظهورها الظروف السائدة بفرنسا في بدايات القرن الثامن عشر، ويمكن إيضاح هذه الظروف في :

1. **سوء أحوال طبقة الزراع في فرنسا:**
2. **انتشار فكرة القانون الطبيعي:**
3. **معارضة أفكار المدرسة التجارية:**
4. **سيادة الروح الفكرية العلمية:**

أهم أفكار المدرسة التجارية: بالرغم من أن الفكر التجاري لم يتميز بالتحليل الاقتصادي الواسع والمتعمق، إلا أن التجاريين حاولوا تحديد بعض الظواهر الاقتصادية من خلال الإجابة على مجموعة من التساؤلات أهمها: ما هي الثروة؟ وكيف يمكن زيادتها؟ فيما تتمثل قوة الدولة اقتصاديا؟ كيف يمكن توزيع الثروة بين مختلف بلدان العالم؟ ما هو سبب ارتفاع الأسعار في أوروبا؟ وقد قدم التجاريون بعض الأفكار والمبادئ التي تعبر عن فلسفتهم، والتي حاولوا من خلالها الإجابة عن تساؤلاتهم، وتتلخص فيما يلي:

1. **هدف الفكر التجاري**
2. **مفهوم الثروة**
3. **تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي**
4. **الميزان التجاري الموجب**
5. **تفسير ارتفاع الأسعار**
6. **تصنيف القطاعات الاقتصادية**
7. **الفائدة والربا**
8. **المنافسة والاحتكار**

أهم أفكار المدرسة التجارية:

بالرغم من أن هذه الحركة الفكرية لم تستمر لأكثر من 25سنة، إلا أنها أثرت في الأفكار الاقتصادية التي بعدها التي ستأت بعدها، تارة من خلال الاتفاق معها وتارة من خلال معارضتها، ومن بين الأفكار التي أتى بها الطبيعيون مايلي:

1. الأرض مصدر الثروة: بدأ الطبيعيون تعريفهم للثروة باستبعاد فكرة المعدن النفيس التي نادت بها المدرسة التجارية، **فالثروة** حسب الطبيعيين هي "**مجموعة القيم التي يمكن استهلاكها عند الرغبة دون إفقار لمصدرها**" وبذلك اعتبروا أن **الأرض هي المصدر الوحيد للثروة**، وأن **الزراعة هي النشاط الوحيد المنتج**، فطالبوا بالاهتمام بها دون غيرها من القطاعات الأخرى التي يصفها الطبيعيون بالعقيمة. ويعود السبب الى تمييز الزراعة عن بقية الأنشطة كون الزراعة هبة من الطبيعة وأن تضافر جهد النسان مع عمل الطبيعة يؤدي إلى نشوء قيمة جديدة لم تكن موجودة من قبل، وهي القيمة التي أطلق عليه الطبيعيون اسم "**الناتج الصافي**"؛

2. مفهوم الثروة: اعتبر الطبيعيون أن الزراعة هي النشاط الوحيد الذي يعطي ناتجا صافيا، وبذلك تقاس الثروة بالقيمة الفائضة أي بالناتج الصافي، الذي يمثل **الثروة المنتجة مطروحا منها الثروة المستهلكة في العملية النتاجية**؛

أهم أفكار المدرسة التجارية:

3. **التقسيم الطبقي للمجتمع:** قسم المجتمع عند الطبيعين (فرونسواه كيني) إلى ثلاث طبقات وهي:

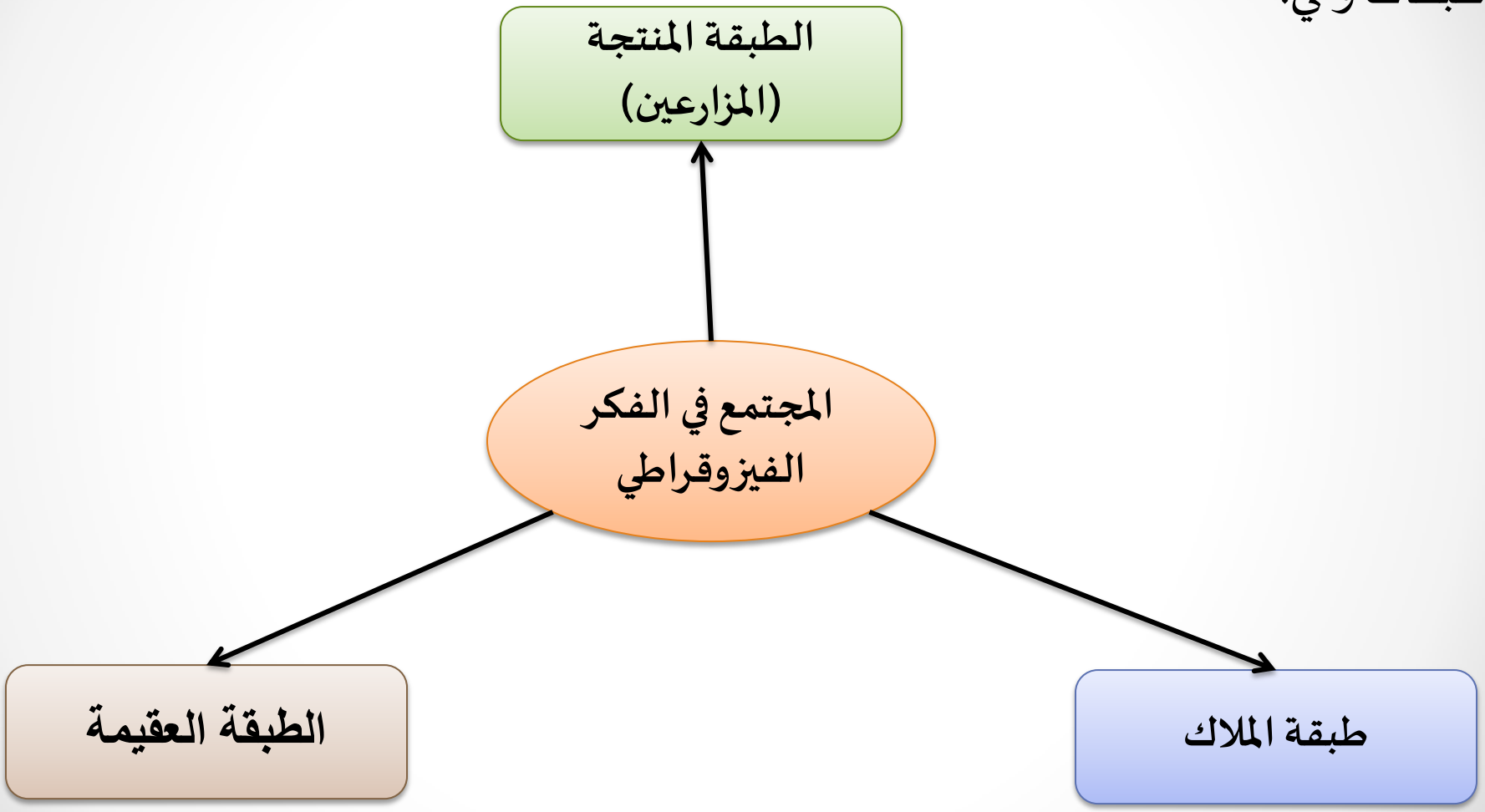

أهم أفكار المدرسة التجارية

4. الجدول الاقتصادي: تبنى الطبيب الفرنسي "**فرنسوا كيناي**" فكرة "**الجدول الاقتصادي**" الذي يعبر عن أفكاره فيما يخص التوزيع، أي كيفية توزيع الناتج الصافي (وهو ما يعبر عنه حاليا بالدخل القومي) على أفراد المجتمع حسب التقسيم الذي وضعه، وقد شبه كيناي دورة المنتجات في الاقتصاد بالدورة الدموية في جسم الانسان، فحسب كيناي فإن السلع والنقود تدور بين طبقات المجتمع الثلاث، بداية من الطبقة المنتجة (المزارعين) وعودة إليها وهو ما يعبر عن الدورة الاقتصادية، ويمكن أن نلخص فكرة الجدول الاقتصاديكما يراها كيناي كما يلي:

-الناتج الصافي الذي يحصل عليه المزارعون يعطون جزءا من قيمته لمالك الأراضي الزراعية في مقابل استخدامهم لأرضهم ويحتفظ المزارعون بالباقي؛

- ينفق الملاك بعض ما حصلوا عليه للحصول على ما يلزمهم من منتجات المزارعين، والبعض الآخر على ما يلزمهم من التجار والصناع؛

أهم أفكار المدرسة التجارية (تابع الجدول الاقتصادي)

- فيما يتعلق بالتجار والصناع فإنهم يتلقون جزءا من دخولهم من المزارعين (حيث يشتري المزارعين ما يلزمهم من التجار والصناع)والجزء الآخر من الدخل يتلقونه من الملاك؛
- وبالنتيجة فإن التجار والصناع ينفقون هذا الدخل لدى المزارعين للحصول على ما يلزمهم من المنتجات الغذائية والمواد الأولية لنشاطهم الاقتصادي؛

وهكذا نجد أن الدخل يؤول في النهاية بعد أن يدور في الجسد الاقتصادي الى طبقة المزارعين فالمنتجات والدخول تمر بدورة تبدأ من المزارع وتنتهي بالمزارع، مما يعكس مدى أهمية الزراعة في النشاط الاقتصادي في نظر الطبيعيين؛

أهم أفكار المدرسة التجارية (تابع الجدول الاقتصادي)

المثال الذي قدمه فراسواه كينيه لشرح الدول الاقتصادي (دورة الناتج الصافي):

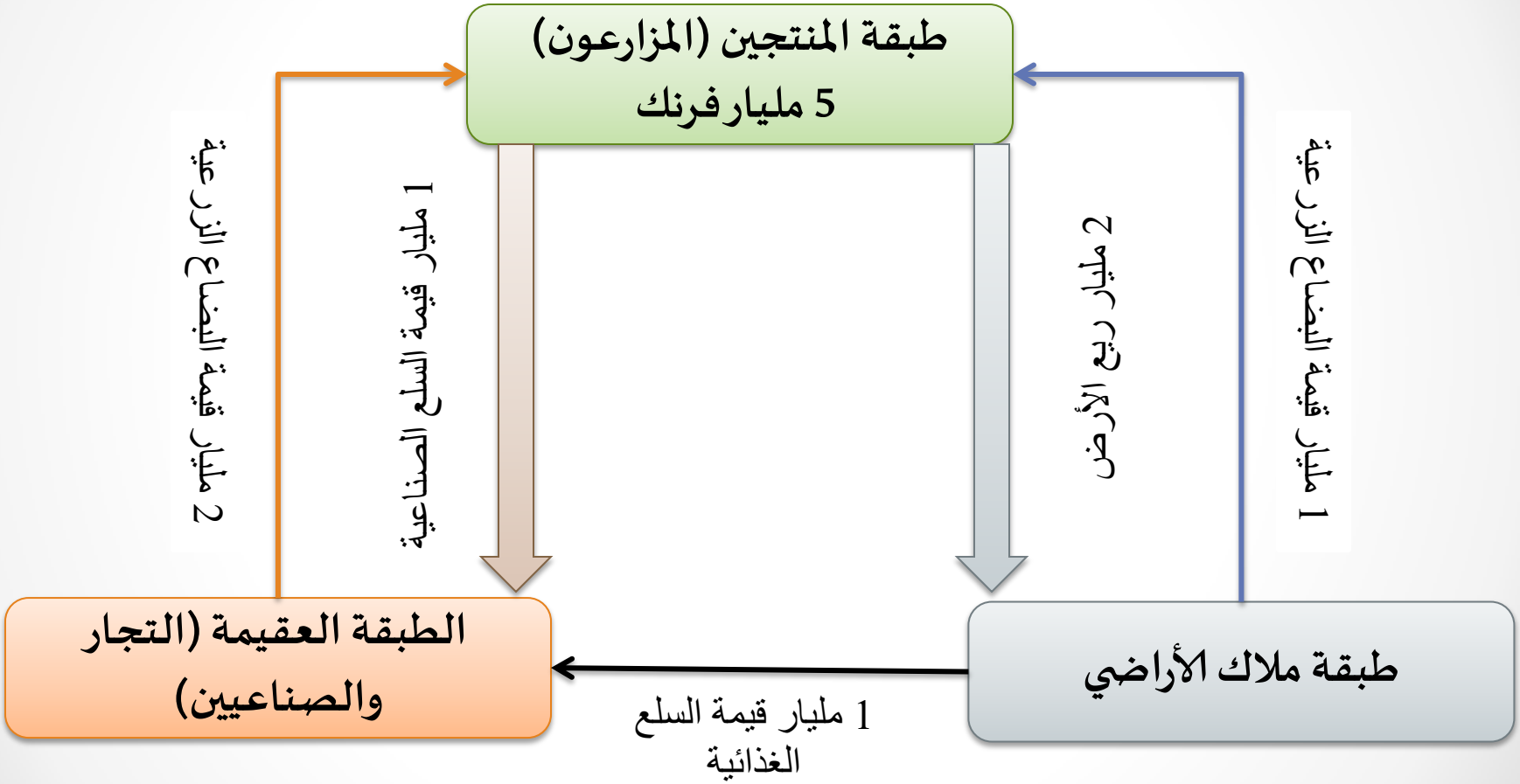

أهم أفكار المدرسة التجارية

5. الحرية الاقتصادية والملكية الخاصة: أقر الطبيعيون بضرورة ترك النظام الاقتصادي حرا حتى يمكن للقوانين الطبيعية أن تحركه حركة منتظمة وتوجهه تلقائيا إلى التوازن الطبيعي، وأن هذه القوانين كفيلة بتحقيق التوافق بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة في ظل المنافسة الاقتصادية، ووفقا لهذه الفلسفة يجب على الدولة عدم التدخل في النشاط الاقتصادي.

كما ناد الطبيعيون بالملكية الفردية (الخاصة) واعتبروا أن المصلحة الشخصية هي الدافع الوحيد للعمل والكسب، وأنه عندما يسعى كل فرد لتحقيق منفعته الشخصية تتحقق بذلك المصلحة العامة، وقد ارتبطت فكرة النظام الطبيعي عند الطبيعيين أيضا بالمناداة بحرية التجارة الداخلية والخارجية، لأنها تعني زيادة دخل المزارعين عند تسويق المنتجات الزراعية.

أهم أفكار المدرسة التجارية

6. وحدة الضريبة: بما أن الطبيعيين اعتبروا الزراعة هي النشاط الوحيد المنتج، فقد نادوا بأن تفرض الضريبة على الزراعة فقط، في شكل ضريبة على النتاج الصافي لدى المزارعين.

7. الثمن المجزي: خلص الطبيعيون إلى **ضرورة العمل على تعظيم الناتج الصافي قدر المستطاع**، سواء من **حيث الكمية أو القيمة**، فكلما كانت كمية هذا الناتج كبيرة وثمنه مرتفعا كلما أدى ذلك إلى زيادة الثراء، فمن ناحية وفرة الكمية ناد الطبيعيون باتباع جميع السياسات التي من شأنها زيادة إنتاجية الأرض.

ومن ناحية القيمة فقد نادوا بوجوب أن يسود ما يسمى **بالثمن المجزي Bon Prix** فلا يكفي حسبهم زيادة إنتاجية الأرض، بل لابد أن يقترن ذلك بثمن معقول للمحاصيل الزراعية يمكن الزراع من تحقيق قيمة كبرى للناتج الصافي، فإذا انخفض ثمن الحاصلات الزراعية انخفاضا كبيرا فقد يتلاشى الناتج الصافي، وإذا ارتفع ثمنها ارتفاعا كبيرا فإنه من المتصور أن يتغير الناتج الصافية في الصناعة وتصبح بذلك الصناعة غير عقيمة بطبيعتها كما يقر الطبيعيون،

أهم أفكار المدرسة التجارية

ولتحقيق الثمن المجزي ناد الطبيعيون بضرورة:

- زيادة الطلب على الحاصلات الزراعية عن طريق تشجيع استهلاك المواد الغذائية والأولية؛
- رفع أجور الطبقة العاملة (المزارعين) لأن الجزء الأكبر منها ينفق على ناتج الأرض؛
- حرية التجارة الخارجية، حيث تساعد على تنشيط تداول المنتجات الزراعية التي تعد الأساس الحيوي لسيادة الثمن المجزي

اسهامات المدرسة التجارية: بتأثر الفكر الاقتصادي بأفكار الطبيعيين حيث حظيت المدرسة الطبيعية باحترام وتقدير عدد كبير من الاقتصاديين، ومن أهم إسهامات المدرسة الطبيعية في الفكر الاقتصادي نذكر ما يلي:

1. جعلت المدرسة الطبيعية الاقتصاد السياسي علما مستقلا بذاته بعيدا عن الفلسفة والدين؛
2. لم يعد ينظر إلى النقود المعدنية (الذهب والفضة) على أنها الثروة القومية التي تسعى الدولة لتحقيقها، بل إن الثروة تتمثل في النتاج الذي يخلق مادة جديدة؛
3. أدت أفكار الطبيعيين إلى تخفيف القيود التي كانت مفروضة على النشاط الاقتصادي في ظل التجاريين؛
4. رجع الفضل للطبيعيين في تأسيس المذهب الفردي أو الحر، حيث نادوا بترك النشاط الاقتصادي للأفراد حرا دون أية قيود، وإدارة هذا النشاط وفقا للمصالح الذاتية للأفراد وعلى أساس المنافسة بينهم، ولقد أخذت المدرسة الكلاسيكية بهذا المذهب خلال القرن 19م وظل سائدا حتى القرن العشرين؛

5. يعد الطبيعيون أول مدرسة فكرية استخدمت أسلوب العزل والتجريد كأسلوب علمي في البحث الاقتصادي، حيث أدرك "كيناي" أن الثروة والنتاج وتوزيع الناتج الكلي وتداوله مشكلات يمكن أن تعزل عن بقية المشكلات لتدرس بطريقة علمية قصد الوصول إلى قوانين عامة بشأنها؛

6. يعد الطبيعيون أول من أعطى صورة عن دورة الناتج الكلي وكيفية توزيعه بين طبقات المجتمع المختلفة من خلال الجدول الاقتصادي.

الانتقادات الموجهة للمدرسة التجارية: بالرغم من المزايا التي تميز بها الفكر الطبيعي، إلا أن الطبيعيين تعرضوا إلى العديد من الانتقادات نذكر منها:

1. أن النشاط الاقتصادي لا يخضع لقوانين طبيعية ثابتة ومطلقة وعامة كما تخيلها الطبيعيون، فالظواهر الاقتصادية تتطور وتتغير، وبالتالي فالقوانين التي تحكمها تتغير وتتطور تبعا لذلك؛
2. كانت فكرة الطبيعيين عن النتاج قاصرة ومحدودة وذات طابع مادي، نظرا لما كانت تتطلبه في العمل المنتج أن يكون خالقا لمادة جديدة، واعتبارهم أن الأرض هي المصدر الوحيد للثروة؛
3. وأخذ على المذهب الطبيعي تركيزه على الزراعة ووجوب الاهتمام بها باعتبارها القطاع الوحيد الذي ينتج فائضا دون سائرالقطاعات، ونظرا لأن الطبيعيين قد فشلوا في الوصول لفكرة "المنفعة" في تعريفهم للثروة، فقد عجزوا عن تصور أن الصناعة والتجارة يمكن أن تكون منتجة أيضا وهي جديرة بنفس الاهتمام كالزراعة؛
4. عد فكرة الطبيعيين في الاقتصار على ضريبة واحدة تفرض على قطاع الزراعة خاطئة، حيث أن الصناعة والتجارة تولدان ناتجا صافيا كذلك، لذا وجب فرض ضريبة على ناتجهما الصافي أيضا كتلك التي تفرض على ناتج الزراعة؛

5. بالغ الطبيعيون كثيرا في تفاؤلهم بأن القوانين الطبيعية كفيلة بتحقيق الرفاهية لأفراد المجتمع وأنه لن تكون هناك أي أزمات اقتصادية، فبالرغم من ترك النشاط الاقتصادي حرا إلا أن الحياة الاقتصادية لم تسر وفقا للقوانين الطبيعية بما يحقق أكبر مصلحة للمجتمع؛

6. في الوقت الذي كان الطبيعيون ينادون بالاهتمام بالزراعة باعتبارها المصدر الحقيقي للثروة،كانت الصناعة تنمو وتزدهر في بعض أجزاء أوروبا لاسيما إنجلترا، فقد كان لقيام الثورة الصناعية أثرا كبيرا في تبلور فكر اقتصادي جديد ينادي بتوجيه المزيد من الاهتمام لقطاع الصناعة والنتاج.